

ألف حكاية وحكاية (٧٠)

معركة الديوك الثلاثة

وحكايات أخرى

يروئها

يعقوب الشارونى



رسوم

مكتبة مصر

رقم الإيداع ٢٢٠٣ / ٩٩

عبد الرحمن بكر

معركة الديوك الثلاثة

كَانَتْ السَّتُّ أُمُّ حَسِينٍ تَحْمِلُ ثَلَاثَةَ دِيُوكٍ، وَهِيَ تَسِيرُ فِي طَرِيقِهَا مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى السُّوقِ، وَقَدْ قَرَّرَتْ أَنْ تَبِيعَ الدِّيُوكَ الثَّلَاثَةَ لِتُدْفَعَ لَابْنِهَا وَابْنَتِهَا الْجَنِيهَاتِ الَّتِي طَلَبَتْهُمَا الْمُدْرَسَةُ مِنْهُمَا. وَكَانَتْ قَدْ رَبَطَتِ الدِّيُوكَ مَعَهَا، وَأَمْسَكَتْ بِهَا مِنْ أَرْجُلِهَا.

وَمِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ، كَانَتْ الدِّيُوكُ تَتَلَوَّى وَتُزْفِرُ بِقُوَّةٍ، فَكَانَتْ السَّتُّ أُمُّ حَسِينٍ تَهْزُهَا هَزَّاتٍ عَنِيفَةً لِتُسْكِنَهَا وَتَوْقِفَ حَرَكَاتِهَا الْمُتَمَرِّدَةَ.

وَمَعَ كُلِّ هَزَّةٍ، كَانَتْ رُؤُوسُ الدِّيُوكِ الصَّغِيرَةِ تَصْطَدِمُ بِقُوَّةٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. وَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الدِّيُوكُ غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى اكْتِشَافِ سِرِّ هَذَا الْعَنْفِ الَّذِي تَتَعَرَّضُ لَهُ، فَقَدْ شَعَرَ كُلُّ دِيَكٍ مِنْهَا بِالْغَضَبِ مِنَ الدِّيَكَيْنِ الْآخَرَيْنِ، وَرَاحَ كُلُّ وَاحِدٍ يَلُومُ الْآخَرَ بِسَبَبِ مَا يُصِيبُهُ، فَانْدَفَعَتْ تَنْقُرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ بِقَسْوَةٍ كَلِمَا اسْتَطَاعَتْ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ تَصِلُ إِلَيْهِ مَنَاقِيرُهَا.

وَلَا حَظَّ رَجُلٌ حَكِيمٌ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ الْحَامِيَةَ، فَهَمَسَ لِنَفْسِهِ: "مُسْكِينَةُ هَذِهِ الدِّيُوكُ قَلِيلَةُ الْعَقْلِ.. إِنَّهَا تَشْتَرِكُ مَعًا فِي نَفْسِ الْمَحْنَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَقْضِي الْوَقْتَ فِي الشَّجَارِ وَالْعَرَائِكِ، وَبِذَلِكَ تُصْبِحُ مَعَانَاتُهَا أَسْوَأَ وَآلَامُهَا أَقْسَى، بَدَلًا مِنْ الْبَحْثِ عَنْ وَاسِيلَةٍ تُسَاعِدُ بِهَا أَنْفُسَهَا، وَتَجْعَلُ الْأُمُورَ أَفْضَلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا."

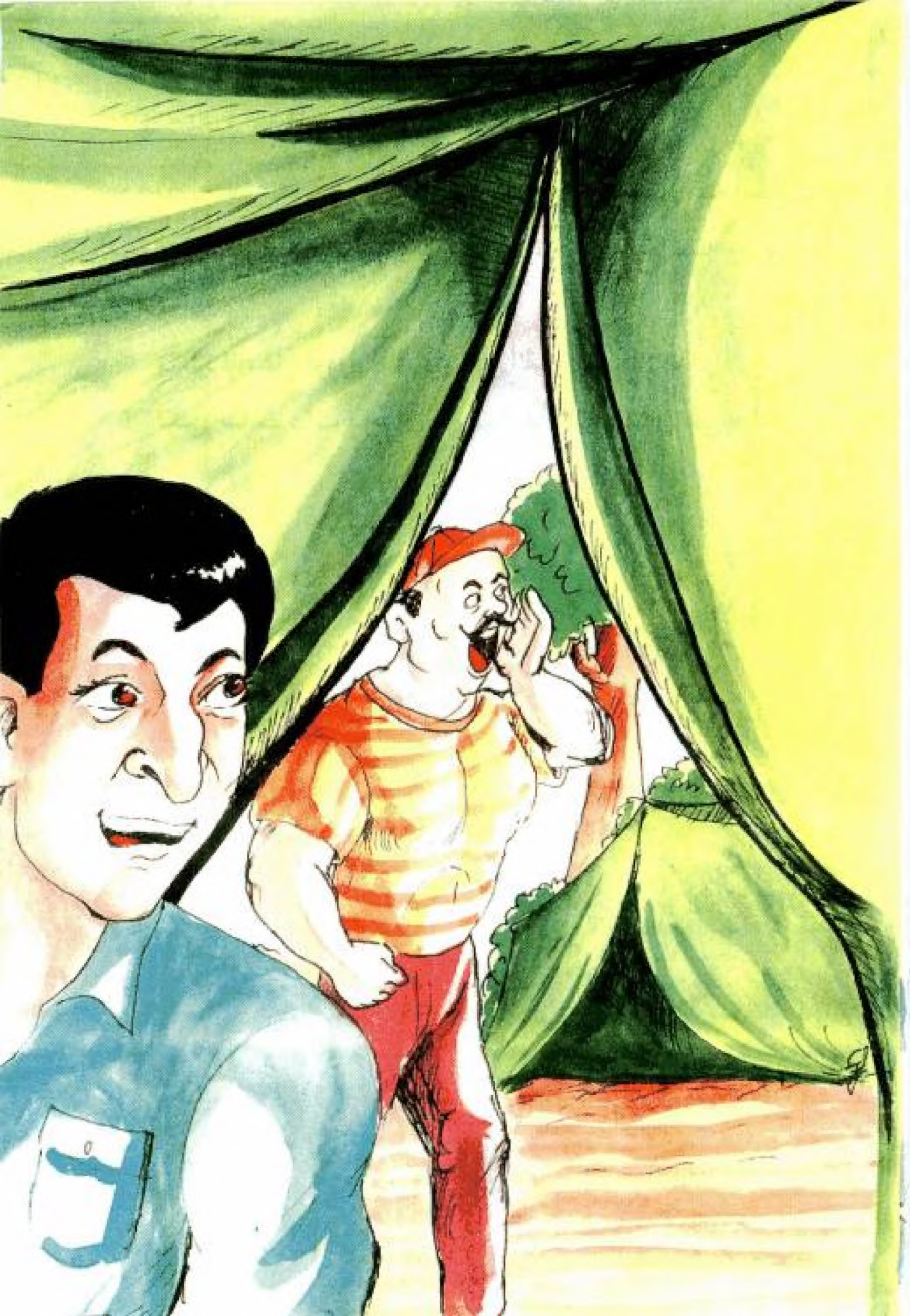


صِيْحَةُ الْمُنْقِذِ الْمَجْهُولِ

عندما كُنْتُ فِي الْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ ، اشْتَرَكْتُ فِي أَحَدِ
الْمُعْسَكَرَاتِ الصَّيْفِيَّةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَاتَّفَقَ مَعَنَا قَائِدُ الْمُعْسَكَرِ ،
عَلَى أَنْ يَحْرَمَ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْبَحْرِ ، كُلُّ مَنْ يَظُلُّ فِي فِرَاشِهِ بَعْدَ
سَمَاعِ نَفِيرِ الاسْتِيقَاطِ . وَكَانَ نَائِبُ الْقَائِدِ مُدْرِّسَ تَرْبِيَةِ بَدْنِيَّةٍ شَدِيدَ
الْحَزْمِ ، اسْمُهُ "عَبْدُ الْغَفَّارِ" يَتَوَلَّى التَّفْتِيشَ عَلَى الْخِيَامِ كُلِّ صَبَاحٍ .
وَلِحَسَنِ الْحِظِّ ، كُنَّا نَتَلَقَّى إِنْذَارًا فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ . فَقَدْ
كُنَّا نَسْمَعُ صِيْحَةً مُرْتَفِعَةً مِنْ شَخْصٍ مَجْهُولٍ يَقُولُ : "عَبْدُ الْغَفَّارِ
قَادِمٌ."

وَبَعْدَ لِحْظَاتٍ يَصُلُّ عَبْدُ الْغَفَّارِ ، وَيَرْفَعُ بَابَ الْخِيْمَةِ ، فَيَجِدُنَا
جَمِيعًا بَعِيدًا عَنِ الْفِرَاشِ .
وَأَخِيرًا عَرَفْتُ لَغْزَ الصَّوْتِ الْمَجْهُولِ . فَقَدْ اسْتِيقَظْتُ ذَاتَ يَوْمٍ
قَبْلَ أَنْ يُدَوِّيَ نَفِيرُ الصَّبَاحِ ، وَذَهَبْتُ إِلَى خِيْمَةِ الطَّعَامِ الْكَبِيرَةِ ،
وَجَلَسْتُ فِي أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، فَسَمِعْتُ صِيْحَةَ الْمُنْقِذِ الْمَجْهُولِ يَقُولُ
كَالْعَادَةِ : "عَبْدُ الْغَفَّارِ قَادِمٌ."

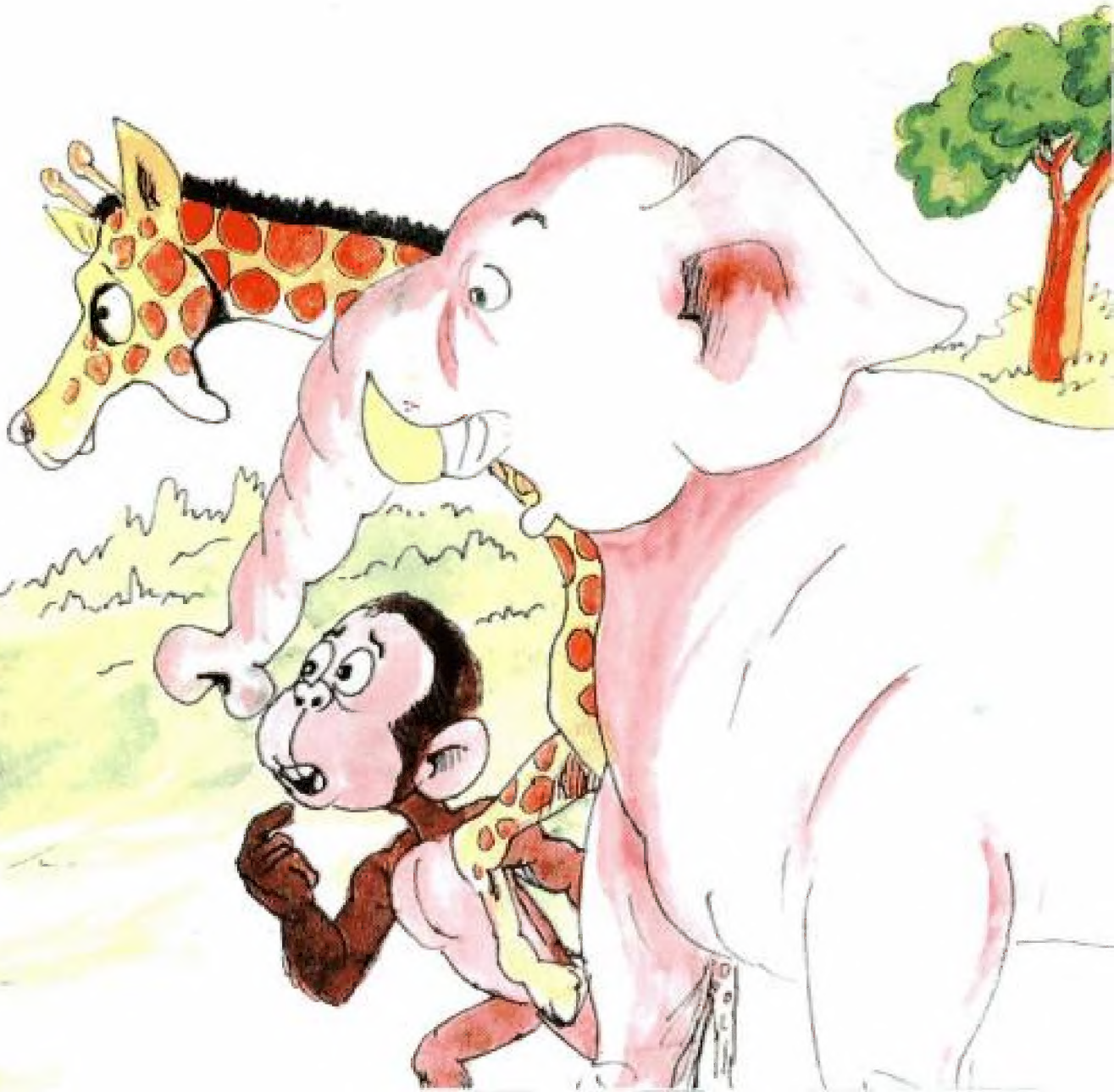
وَتَطَلَّعْتُ بَعَيْنِي ، فَشَاهَدْتُ صَاحِبَ الصَّوْتِ . كَانَ هُوَ عَبْدُ
الْغَفَّارِ نَفْسَهُ مُدْرِّسَ التَّرْبِيَةِ الْبَدْنِيَّةِ ، الَّذِي تَمَهَّلَ قَلِيلًا ، ثُمَّ وَاصَلَ
سَيْرَهُ فِي حَزْمٍ ، لِيُفْتَشَ الْخِيَامَ !!



الحمار في جلد الأسد

لف حمار نفسه في جلد أسدٍ ، وأوهم الجميع أنه أسدٌ .
واستمتع الحمارُ بإثارة الرعب بين الجميع ، حتَّى فرّعوا منه وهربوا
من أمامه .

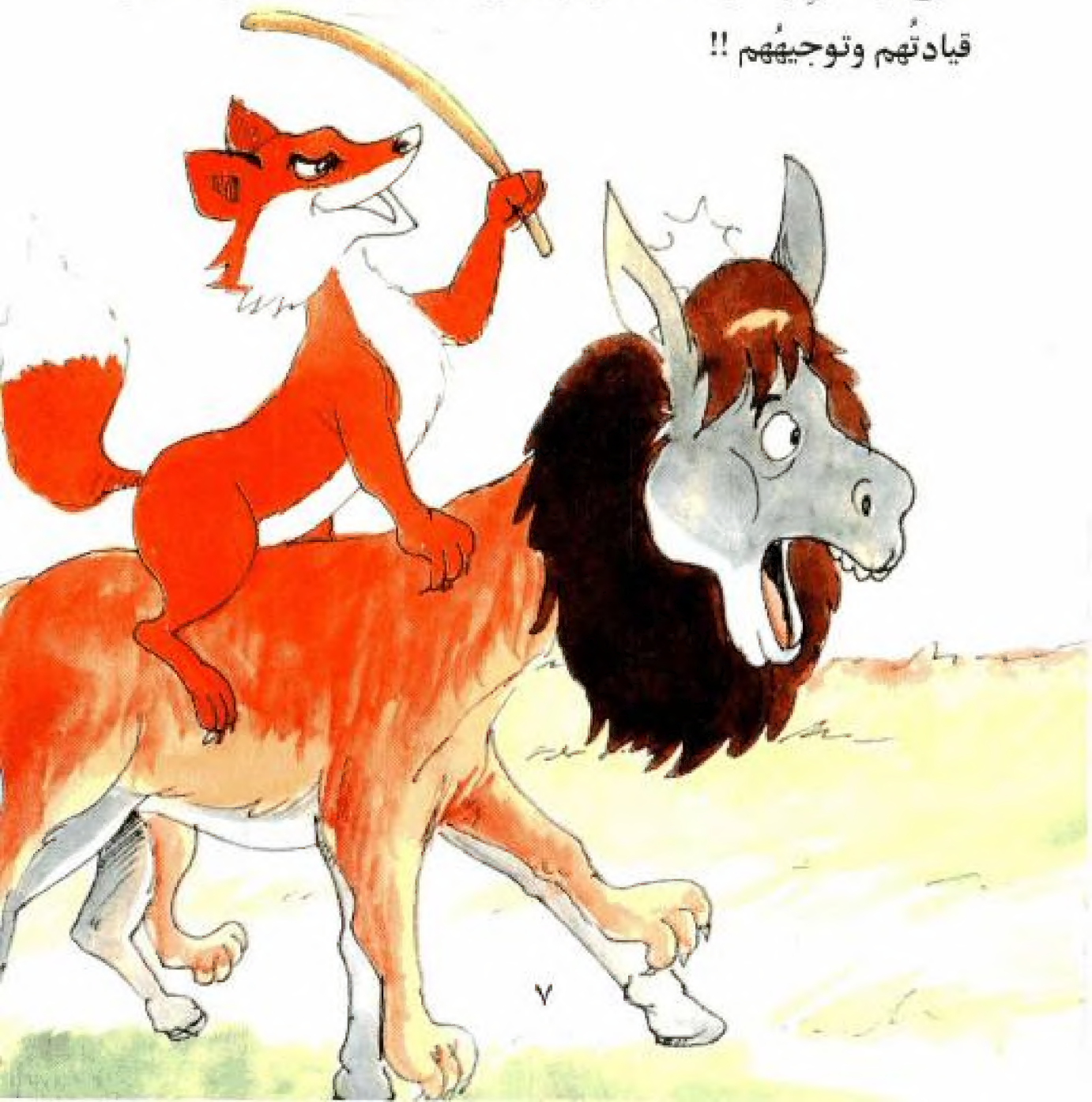
وامتلا الحمارُ غرورًا ، فتمادى في القيام بدور الأسد .
لكن حدث ذات يوم أن برزت أذناه الطويلتان من خلف



ردائه المزيف ، وقبل أن يُسرَعَ بإخفائهما ، شاهدَهما الثعلبُ ، فعرفَ
خدعةَ الحمار .

ولم يلبثَ الجميعُ أن شاهدوا الثعلبَ يتعقبُ مَنْ ظنَّوه الأسدَ
ملكَ الغابة ، ويقوده وهو مُسلَّحٌ بعضا فقط !

عندئذٍ تبيَّنوا الحقيقة ، وعرفوا أن بعضَ مَنْ يدلُّ مظهرهم
على البطش والقوة ، قد يكونون في حقيقتهم مُسالِمينَ ، تسهلُ
قيادتهم وتوجيههم !!



الفتى الذى غلبه

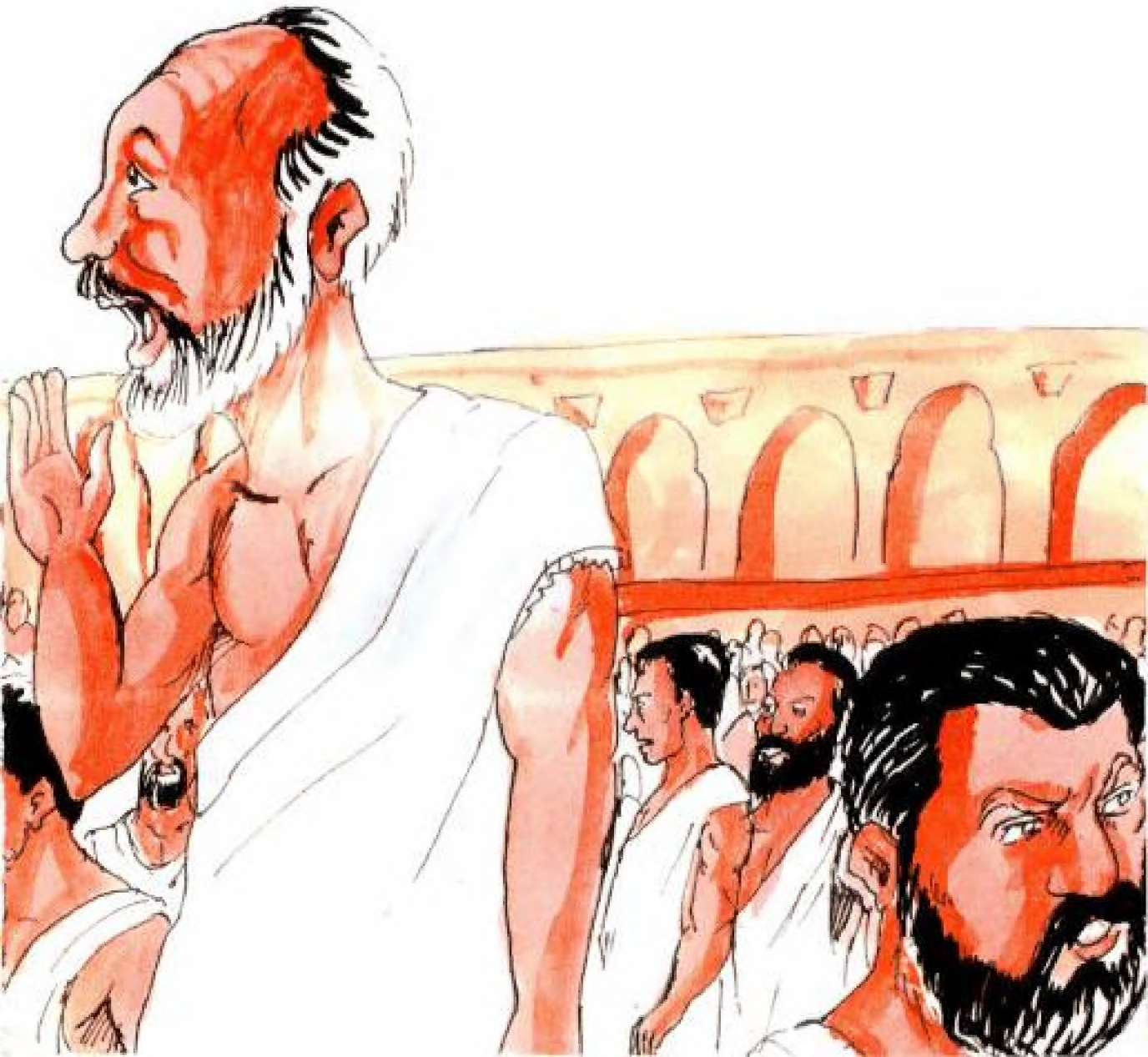
قال رجلٌ عالمٌ مُتعبٌ زاهدٌ :

لم يغلبنى إلا فتى ، قابلتهُ فى أحدِ مواسمِ الحجِّ ، وسألنى :

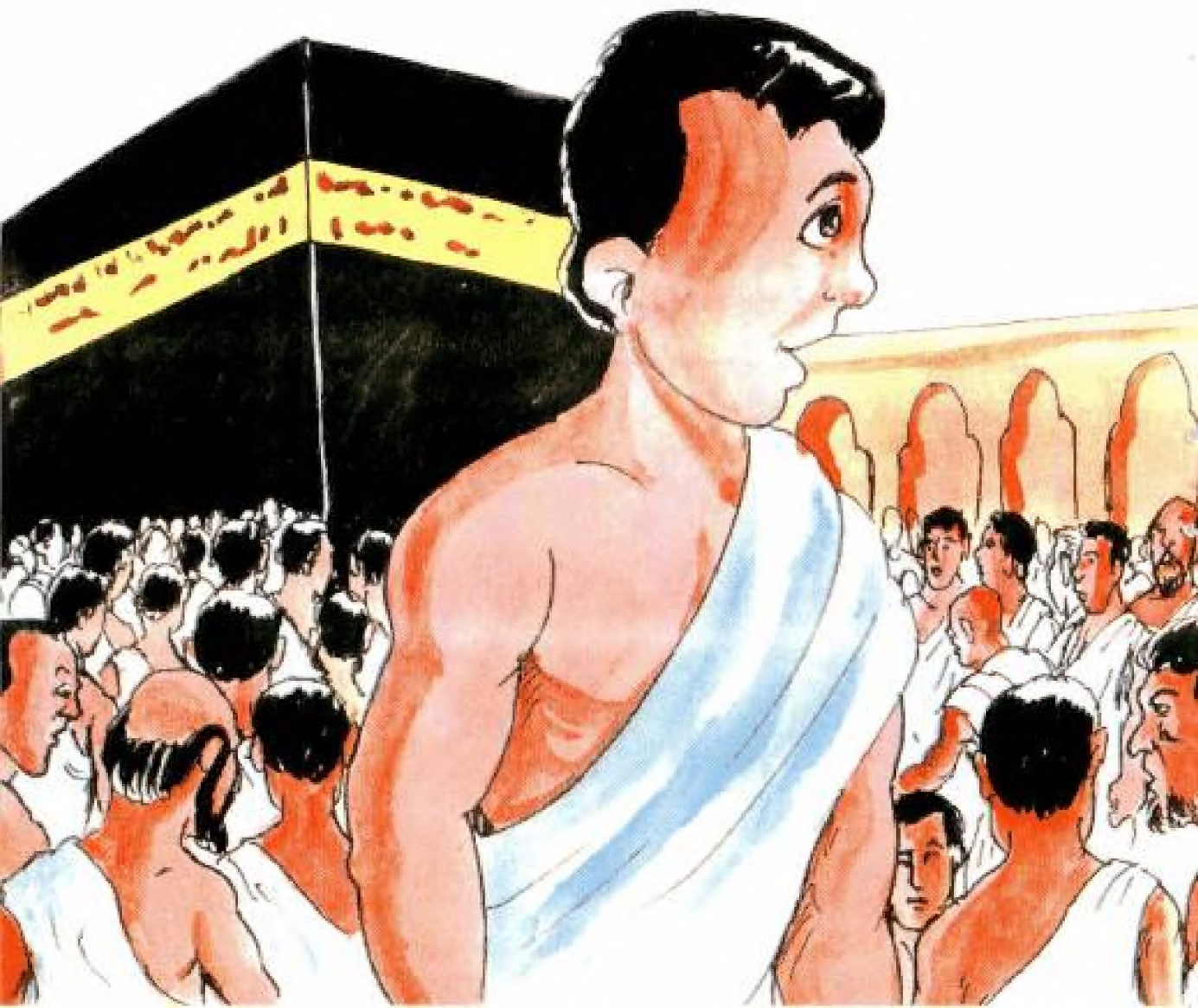
"إلى أىِّ مدى وصلَ الزهدُ عندكم ؟"

قلتُ : "نحن إذا حرَمنا اللهُ من شىءٍ صبرنا ، وإذا أعطانا ،

شكرنا ."



ثم سأله: "والى أى مدى وصل الزهد عندكم؟"
قال: "نحن، إذا حرّمنا الله من شيءٍ شكرنا، وإذا أعطانا،
فصلّنا غيرنا على أنفسنا، فتصدّقنا بما أعطانا الله."
وختم الرجلُ الزاهدُ حديثه قائلاً: "وهكذا فإنه ما غلبنى فى
حياتى إلا هذا الفتى!!"



الصَّخْرَةُ السَّاخِطَةُ

بعدَ جفافِ طويلٍ ، أمطرتِ السَّمَاءُ ، فقالتْ صخرةٌ كبيرةٌ : "ما أحققَ النَّاسُ ! إنَّهم يردُّونَ عباراتِ الشُّكرِ للمطرِ ، ويذكرونَ فضلَهُ ويمتدحونه ، مع أنَّه لم يسقطْ إلا مدَّةً قصيرةً . إنَّهم يتحدَّثون عنه كأنَّه أعظمُ صَيِّفٍ جاءَ إلى الأرضِ . لقد مضى على وجودي هنا آلافُ السَّنينِ ، ومع ذلك لم أسمعْ مِنْ أحدهم كلمةً مديحٍ أو عبارةً شكرٍ ، فما أشدَّ ظلمَهم !"

كانتْ دودةٌ حريرٌ تنسجُ خيوطَها الحريريَّةَ ، فسمعتْ حديثَ الصَّخرةِ ، فأجابَتْها على الفورِ : "كفى شكوى وتذمُّراً أيتها الصَّخرةُ . صحيحٌ أنَّ المطرَ لم يسقطْ إلا بضعةَ ساعاتٍ ، لكنَّه مع ذلك رَوَى جميعَ الحقولِ ، بعد أن كادَ الزَّرْعُ يموتُ من العطشِ ، فأصبحَ من واجبِ النَّاسِ أن يشكروه . أمَّا أنتِ ، فمع طولِ وجودكِ بينهم ، لم تفعلِي شيئاً ينفعُهم ، فعلى أيِّ شيءٍ يشكرونكِ ؟"





الكرسى المريح

كَانَتْ سَهَامُ الصَّغِيرَةُ تُحِبُّ كَثِيرًا أَنْ تَجْلِسَ عَلَى الْكَرْسِيِّ
الْكَبِيرِ الْمُرِيحِ ، وَأَنْ تَسْتَرِيحَ عَلَى مَسْنَدِهِ اللَّيِّنِ . كَانَتْ سَهَامُ تَحْرُسُ
أَنْ تَجْلِسَ عَلَى الْكَرْسِيِّ ، خَاصَّةً عِنْدَمَا تَنْهَمِكُ فِي قِرَاءَةِ كِتَابٍ ، أَوْ
مُشَاهَدَةِ التَّلِفِيزِيُونِ . وَكَانَتْ حَرِيصَةً أَنْ تَجْعَلَهُ نَظِيفًا عَلَى الدَّوَامِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، جَاءَ تَامِرُ ابْنُ عَمِّ سَهَامٍ ، فِي زِيَارَةٍ . كَانَ صَبِيًّا
عَدَوَانِيًّا ، تَسْلِيَّتُهُ أَنْ يَجْذِبَ سَهَامَ مِنْ فَوْقِ الْكَرْسِيِّ ، وَأَنْ يَقْلِبَ
الْكَرْسِيَّ رَأْسًا عَلَى عَقْبٍ ، فَكَانَتْ سَهَامُ ، عِنْدَمَا تَرَاهُ وَاقِفًا فَوْقَ
الْكَرْسِيِّ وَقَدْ انْهَمَكَ فِي الْقَفْزِ إِلَى أَعْلَى وَإِلَى أَسْفَلٍ ، تَصِيحُ قَائِلَةً :
"تَوَقَّفْ .. إِنَّكَ تُفْسِدُ الْكَرْسِيَّ !!"

لَكِنْ "تَامِرُ" كَانَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : "وَمَاذَا يُهْمُ إِذَا فَسَدَ ؟!"
ثُمَّ يَقْفِزُ إِلَى أَعْلَى وَإِلَى أَسْفَلٍ بِقُوَّةٍ أَكْثَرَ ، لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لِيُغَيِّظَ
سَهَامَ !!

وَفَجْأَةً انْحَلَّتْ أُرْبُطَةُ الْبَايَاتِ الَّتِي تَجْعَلُ الْمَقْعَدَ لَبِنًا ، وَقَفَزَ كُلُّ
بَايٍ إِلَى أَعْلَى بِقُوَّةٍ ، فَانْقَذَفَ مَعَهَا تَامِرُ الشَّقِيُّ فِي فِضَاءِ الْغُرْفَةِ ،
وَكَأَنَّهُ قِطْعَةُ حَجَرٍ قَذَفَهَا صَبِيٌّ مِنْ "نَبْلَةٍ" !!

صَاحَ تَامِرُ فِي فَرْعٍ : "لَقَدْ دَبَّتِ الْحَيَاةُ فِي هَذَا الْكَرْسِيِّ !! إِنَّهُ
يُعَاقِبُنِي !!"

قالت سهام : "هذا الكرسيُّ صديقي ، وهو يدافعُ عني
ويُعاقبك !! من الخير لك أن تبتعدَ عنه تمامًا ."
وعندما تمَّ إصلاحُ الكرسيِّ ، عادتْ سهامُ تجلسُ فوقهُ لتقرأ .
ومع أن "تامر" لم يصدِّقِ احتمالَ وجودِ شبحٍ في الكرسيِّ ، فإنه لم
يقترُبْ ثانيةً منه ، ولا من سهامٍ عندما تكونُ جالسةً عليه !!



وجدتها .. وجدتتها ..

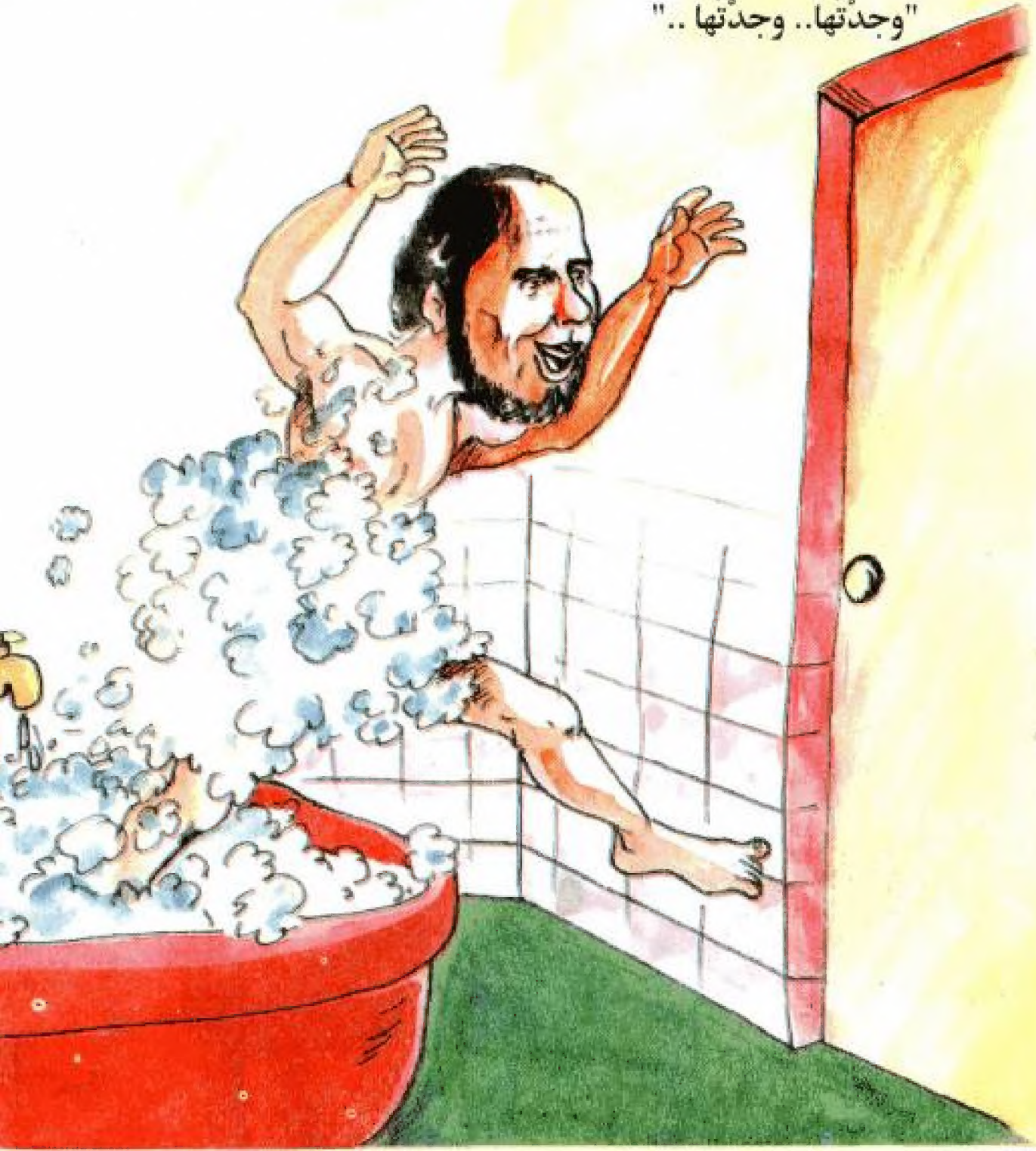
في متحف المتروبوليتان للفنون بمدينة نيويورك ، وفي قسم الآثار اليونانية القديمة ، وقفتُ أتأملُ حوضَ استحمامٍ عميقًا ، منحوتًا في قطعةٍ واحدةٍ من الرخام الأبيض . عندئذٍ تذكرتُ العالمَ اليونانيَّ "أرشميدس" . فمنذُ ٢٢٠٠ سنةٍ ، عاشَ هذا العالمُ الشهيرُ في مدينةٍ "سيراكوز" بجزيرة صقلية .

وذاتَ يومٍ ، طلبَ منه ملكُ المدينة أن يُساعدهُ في حلِّ مشكلةٍ واجهتهُ . فالملكُ كانَ قد اشترى تاجًا من الذهب ، لكنَّ الشكَّ ساورهُ في أن الصانعَ قد خدعهُ ، بأن أضافَ معادنَ أخرى إلى الذهب . وطلبَ الملكُ من أرشميدس أن يعرفَ الحقيقةَ ، مع الاحتفاظِ بالتاجِ سليمًا .

وظلَّ أرشميدس يفكرُ في هذه المشكلةِ أيامًا . وذاتَ مساءٍ ، دخلَ حمامه ، ونزلَ في حوضِ الاستحمام (البانيو) المملوءِ حتى حافتهِ بالماءِ ، وراقبَ الماءَ وهو يفيضُ على جوانبِ الحوضِ . ولاحظَ أن كميةَ الماءِ التي انزاحتُ من الحوضِ ، لابدَّ أن تكونَ مُساويةً لحجمِ جسمه هو . وهكذا وجدَ أرشميدس حلاً لمشكلتهِ .

لقد وضعَ تاجَ الملكِ في إناءٍ مُمتلئٍ بالماءِ ، وقاسَ مقدارَ الماءِ المُزاح ، فعرفَ حجمَ التاجِ . ثم أحضرَ قطعةً من الذهبِ الخالصِ ، وتأكدَ من حجمِ الماءِ المُزاحِ أن لها نفسَ حجمِ التاجِ . ثم

وزن التاج ، ووزن قطعة الذهب ، وعندما وجد الوزنين مختلفين ،
عرف أن معدنا آخر قد تم خلطه بذهب التاج .
وتقول الحكاية إن أرشميدس اشتد انفعاله ، فخرج من حوض
الاستحمام عاريا ، وانطلق يجرى فى الشوارع وهو يصرخ :
"وجدتها.. وجدتتها.."



تفاؤل مع ١٠٠ سنة من العمر

كان "العم سلطان" يحتفل بعيد ميلاده المائة ، في دار لرعاية المسنين . ولما كان بلوغ سن المائة من الأحداث النادرة المهمة في زماننا ، فقد ذهب أحد مذيعي التلفزيون لإجراء مقابلة مع الشيخ كبير السن .

سأل المذيع الرجل : "هل تستطيع الآن أن تخرج وتمشي كثيراً يا عم سلطان ؟!"

أجاب الشيخ المرح : "من المؤكد أنني أستطيع أن أمشي اليوم ، أفضل مما كنتُ أمشي منذ مائة سنة مضت !!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها من الأدب الشعبي والعربي القديم والعالمي